نحو (٥٠٠) فوقع الفداء كل نفس عن نفس صغيراً أو كبيراً وقد عقد المسلمون جسراً على النهر وعقد الروم جسراً فكان المسلمون يرسلون الرومي على جسرهم ويرسل الروم المسلم على جسرهم وقد أعطى خاقان الروم ممن كان فضل في يده (١٠٠) نفس ليكون له عليهم الفضل استظهاراً ومن غريب ما حصل في هذا الفداء أن أحمد بن أبي دؤاد القاضي أرسل مندوباً من قبله يمتحن الأسرى حتى لا يفدي منهم من لا يقول بأن القرآن مخلوق وهذا غلو قد وصل إلى نهايته.

صفات الواثق:

كان الواثق كثير الأكل والشرب واسع المعروف متعطفاً على أهل بيته متفقداً لرعيته وكان محباً للنظر مكرماً لأهله مبغضاً للتقليد وأهله محباً للإشراف على علوم الناس وآرائهم ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة والمتطببين وكان له مجلس نظر عقده للنظر بين الفقهاء والمتكلمين في أنواع العلوم من العقليات والسمعيات في جميع الفروع فكانت سيرته في ذلك سيرة عمه المأمون ومن أجل ذلك أخذت مسألة خلق القرآن في عهده شكلاً حاداً أكثر مما كانت في عهد أبيه المعتصم لأن المعتصم كان يتكلف ذلك لمكان وصية أخيه.

وفاة الواثق:

أصيب الواثق بعلة الاستسقاء وكانت سبب وفاته في (٦ ذي الحجة ٢٣٢) وسنه (٣٦ سنة) وبموته مضى على الدولة العباسية قرن كامل. ولم يعهد الواثق لأحد من بعده بالخلافة فخلافته من بعده بدء شكل جديد لم تكن له سابقة في الدولة العباسية وقد ختم هذا القرن بانتهاء الخلفاء العسكريين الذين كانوا يقودون الجيوش بأنفسهم ويخوضون غمرات الموت ولا يستسلمون لداعي الترف المضني.

١٠ ـ المتوكل

هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد وأمه أم ولد خوارزمية يقال لها شجاع. ولد في شوال (سنة ٢٠٦) بفم الصلح ولم يكن بالمرضي عنه في حياة أخيه حتى كان الواثق قد وكل به رجلين هما عمر بن فرج الرخجي ومحمد بن العلاء الخادم فكانا يحفظانه ويكتبان بأخباره في كل وقت وقد جر عليه ذلك انحراف الوزير محمد بن عبد الملك الزيات فكان لا يلقاه لقاء حسناً وكانت صكاك رزقه لا تختم له إلا بعناء حتى أن عمر بن فرج أخذ منه الصك مرة فرمى به في صحن المسجد الذي كان عمر يجلس فيه وكان الذي يصلح من شأنه عند الواثق أحمد بن أبي دؤاد.

ولما توفي الواثق ولم يكن عهد إلى أحد اجتمع كبراء الدولة: ابن أبي دؤاد القاضي

ومحمد بن عبد الملك الوزير وعمر بن فرج وأحمد بن خالد الكاتبان وإيتاخ ووصيف من قواد الأتراك وتناظروا فيمن يولونه الخلافة فأشار محمد بن عبد الملك بمحمد بن الواثق وكاد الأمر يتم له إلا أنهم لما جاؤوا به وألبسوه دراعة سوداء وقلنسوة رصافية قال لهم وصيف: أما تتقون اللّه تولون مثل هذا الخلافة وهو لا تجوز معه الصلاة ثم أشار ابن أبي دؤاد بجعفر بن المعتصم فاتفق رأيهم عليه وأحضروه فألبسه أحمد بن أبي دؤاد الطويلة وعممه وقبله بين عينيه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين وبايعه الحاضرون ولقب بالمتوكل على اللّه ثم بايعته العامة وتم ذلك كله في اليوم الذي توفي فيه الواثق وهو (٢٤ ذي الحجة سنة ٢٣٢) (١١ أغسطس سنة ٨٤٧) واستمر خليفة إلى أن قتل ليلة الخميس رابع شوال (سنة ٢٤٧) (١١ ديسمبر سنة ٨٦١) فكانت مدته (١٤ سنة) وتسعة أشهر وعشرة أيام وكانت سنه إذ قتل (٤١ سنة). وكان يعاصره في بلاد الأندلس عبد الرحمٰن بن الحكم (٢٠٦ ـ ٢٣٨) ثم ابنه محمد (٢٣٨ ـ ٢٨٣).

ويعاصره في بلاد المغرب من الأدارسة محمد بن علي بن إدريس الثاني (٢٢١ ـ ٢٤٢) ثم يحيى بن محمد (٢٣٤).

ويعاصره في إفريقية من الأغالبة محمد بن الأغلب بن إبراهيم (٢٣٦ ـ ٢٤٢) ثم أحمد بن محمد بن الأغلب (٢٤٢ ـ ٢٤٩).

ويعاصره في بلاد اليمن من الدولة الزيادية محمد بن عبد اللّه بن زياد (٢٠٤ ـ ٢٤٥) ثم إبراهيم بن محمد (٢٤٥ ـ ٢٨٩).

ويعاصره في خراسان من آل طاهر محمد بن طاهر بن عبد اللّه بن طاهر (٢٣٠ ـ ٢٤٨).

ويعاصره من ملوك الروم بالقسطنطينية ميخائيل الثالث الملقب بالسكير ويعاصره في فرنسا شارل الأصلع (٨٤٠ ـ ٨٧٧).

وزراء الدولة:

كان الوزير الأول لأول عهد المتوكل هو محمد بن عبد الملك الزيات الذي كان وزيراً لأخيه وأبيه إلا أن المتوكل كان منحرفاً عنه لما كان يفعله معه في حياة أخيه من قبح المقابلة وعدم الرعاية وزاد على ذلك أنه أشار بتولية محمد بن الواثق فكانت شهوة الانتقام متمكنة منه ففي سابع صفر (سنة ٢٣٣) أمر فقبض عليه وصادر جميع ماله من عقار ومنقول وكذلك ضياع أهل بيته حيث كانت. أما ما ناله من المكروه في نفسه فهو أعظم من أن يسطر ولم يزل ذلك دأبهم معه حتى مات تحت العذاب. إلى هذا الحد وصل ضعف الوازع الديني عند هؤلاء القوم ـ الرجل لم يكن على وفاق مع الخليفة قبل أن يتولى فأشد ما يكون من عقوبته ألا يستعان به في عمل ـ الرجل خان فيما

عهد إليه من الأمانات فأقصى عقوبته أن يصادر في أمواله ـ الرجل قتل نفساً بدون حق فأقصى عقوبته أن يقتل فلم هذا التعذيب الذي سطره المؤرخون أليس ذلك دليلاً على أن شهوة الانتقام حالت بين القوم وبين دينهم الذي نهى أشد النهي عن التعذيب والمثلة أليس ذلك دليلاً على أن صوت العلماء لا يظهر إلا في الأمور النظرية المحضة التي لا يترتب عليها عمل ولا أثر في الحياة أما ما تكون آثاره ظلم الناس بأخذ أموالهم وإزهاق نفوسهم فلا نكاد نسمع لهم ركزاً أين هذا مما كان في عهد عمر بن الخطاب الذي كانت أمته تحاسبه على كل ما يصدر منه من جليل وحقير.

وكان مبلغ ما قبض له مع قيمة موجوداته (٩٠٠٠٠ دينار) وبين القبض عليه ووفاته أحد وأربعون يوماً.

ولم يمض على ذلك خمسة أشهر حتى أمر المتوكل بالقبض على عمر بن فرج الرخجي وهو الكاتب الذي رمى بصك المتوكل في صحن المسجد أيام خلافة الواثق فقبض عليه وصودرت أملاكه وكان مقدار ما أخذ منه ومن أخيه محمد بن فرج (٢٧٤٠٠٠ دينار) (١٥٠٠٠ درهم) سوى القصر والأمتعة والضياع وقد حمل متاعه وفرشه على خمسين جملاً كرت مراراً ثم صالحوه بعد ذلك على أن يدفع (١٠٠٠٠٠٠٠ درهم) على أن ترد عليه ضياعه بالأهواز فقط فردت عليه وأطلق من عقاله.

استكتب المتوكل بعد ابن عبد الملك أبا الوزير أحمد بن خالد الذي كان في حياة الواثق زماماً على عمر بن فرج الرخجي في ديوان النفقات ولما استكتبه لم يسمه باسم الوزير واستمر كاتباً له زمناً قليلاً فإنه في ذي الحجة من (سنة ٢٣٣) غضب عليه وأمر بمحاسبته فحمل نحواً من (٦٠٠٠٠ دينار) وحمل بدور دراهم وحلياً وأخذ له من متاع مصر (٦٢ سقطاً) و(٣٤ غلاماً) وفرشاً كثيراً وحبس بسببه جماعة من الكتاب وأغرموا من المال قدراً كثيراً.

وبعد أبي الوزير استوزر محمد الفضل الجرجرائي منسوب إلى جرجرايا (وهي بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي) وكان الجرجرائي من أهل الفضل والأدب والشعر وقال صاحب الاداب السلطانية: إنه كان عالماً بالغناء مشتهراً به واستمر على وزارته إلى (سنة ٢٣٦) وفيها صرفه عن العمل لأنه قال قد ضجرت من الشيوخ وأريد حدثاً أستوزره فمن أجل ذلك صرفه.

اختار بعده لوزارته عبيد الله بن يحيى بن خاقان وبقي وزيراً للمتوكل إلى أن مات وكان حسن الحظ له معرفة بالحساب والاستيفاء وكانت فيه عيوب يسترها كرمه وحسن خلقه وعفته ومن أجل ذلك كان الجند يحبونه، وقد حصل في وزارته حادثة تبين مقدار ما كان من الفساد عند العمال واحتجانهم الأموال لأنفسهم ووقيعتهم بعضهم ببعض وكل ذلك سببه عدم الضبط في

الإدارة المالية. كان نجاح بن سلمة على ديوان التوقيع والتتبع على العمال فكان لذلك مخشي الجانب نافذ الكلمة. وكان الحسن بن مخلد على ديوان الضياع. وموسى بن عبد الملك على ديوان الخراج. وكان بين نجاح وبين ابن خاقان الوزير وحشة ومضادة وكان ميل الحسن وموسى إلى الوزير. احتاج المتوكل في (سنة ٢٤٥) إلى المال لبناء القصور التي أراد تأسيسها بسامرا. فقال له نجاح: أسمي لك قوماً تدفعهم إلي حتى أستخرج لك منهم من الأموال ما يكفيك لبناء مدينتك وسمى له نحواً من عشرين رجلاً: موسى بن عبد الملك وخليفته والحسن بن مخلد وخليفته وعبيد اللّه بن يحيى الوزير وأخواه وغيرهم من العمال، فأعجب ذلك المتوكل وقال له: بكر إلي غداً - وناظر الوزير المتوكل في ذلك فقال له يا أمير المؤمنين: أراد ألا يدع كاتباً ولا قائداً ولا عاملاً إلا أوقع بهم فمن يقوم بالأعمال يا أمير المؤمنين، وخرج من عنده فدعا موسى بن عبد الملك والحسن بن مخلد فقال لهما: إن دخل نجاح إلى أمير المؤمنين دفعكما إليه فقتلكما وأخذ ما تملكان من المال ولكن اكتبا إلى أمير المؤمنين رقعة تتقبلان به فيها بألفي ألف دينار ففعلا وأوصل الوزير رقعتهما إلى المتوكل وأعانهما بالقول على القبول ثم أدخلهما على المتوكل وحجب نجاحاً فضمنا ذلك ودفع إليهما نجاحاً فأخذاه وابتقما منه شر انتقام. أما في المال فأخذا من نجاح وابنه نحو (١٤٠٠٠٠) دينار سوى قيمة قصورهما وفرشهما ومستغلاتهما بسامرا وبغداد وسوى ضياع لهما كثيرة قبض ذلك كله وأخذ كثير من المال من وكلاء نجاح ومن يتصل به أما كاتبه إسحاق بن سعد الذي كان يتولى خاص أموره فقد أمر المتوكل أن يغرم (٥١٠٠٠) دينار وقيل: ولم ذلك قال المتوكل: إنه أخذ مني أيام الواثق حينما كان يخلف عمر بن فرج خمسين دينار حتى أطلق أرزاقي فخذوا لكل دينار ألفاً وزيادة ألف فضلاً كما أخذ فضلاً فحبس ونجم عليه ثلاثة أنجم ولم يطلق حتى أدى تعجيل (١٧٠٠٠ دينار) وأخذ منه كفلاء بالباقي. وأما نفس نجاح فقد ماتت تحت الضرب والتعذيب.

وبعد وفاة نجاح ضم ديوان التوقيع إلى عبيد اللّه بن يحيى الوزير ثم توفي موسى ابن عبد الملك فضم ديوان الخراج إلى الوزير أيضاً.

من أغرب ما في هذا التاريخ أن يرتشي العامل من أخي الخليفة حتى يطلق له أرزاقه فما الظن بغيره من أصحاب الأرزاق ماذا يدفعون حتى يوقع لهم على صكاكهم بقبض تلك الأرزاق؟ ولا يستغرب بعد ذلك ما كان يجتمع إلى هؤلاء الكتاب من الأموال الوفيرة في الزمن القليل والعمال يعرفون بعضهم بعضاً فيعلم الواحد منهم ما اقتنى الآخر من الأملاك والضياع وما احتجن من المال فإذا بلغ خليفته شيئاً من ذلك هاج أطماعه فيعمد إلى ما يماثل ما ذكرنا من عقوبة العامل ومصادرة أمواله.

* وما من ظالم إلا سيبلى بظالم *

وتلك أمور تعم الفساد في جسم الدولة.

أحمد بن أبي دؤاد: هو الرجل الموثوق به في عهد المأمون وعظيم دولة المعتصم والواثق وقاضي القضاة في زمنهما والذي كان يعطف على المتوكل في عهد أخيه الواثق حتى استرضاه عنه بعد أن كان قد غضب عليه فلما ولي المتوكل حفظ له مقامه ورتبته وسابقته فكان قاضي القضاة وعظيم الدولة. وفي (سنة ٢٣٣) فلج فعجز عن العمل فكان ابنه أبو الوليد يقوم مقامه في القضاء وولاية المظالم إلا أن الرجل لم تكن سيرته سيرة أبيه فكانت النتيجة أن غضب المتوكل على أحمد ابن أبي دؤاد وعلى ابنه فعزلهما عن المظالم والقضاء ورضي عن يحيى بن أكثم فأشخصه من بغداد إلى سامرا وولاه قضاء القضاة والمظالم. وأمر بالتوكيل على ضياع أحمد بن أبي دؤاد لخمس بقين من صفر (سنة ٢٣٧) وحبس يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الأول ابنه محمد في ديوان الخراج وحبس إخوته عند عبد الله بن السري خليفة صاحب الشرطة وبعد ذلك بيومين حمل أبو الوليد (٢٠٠٠٠ دينار) وجواهر بقيمة (٢٠٠٠٠ دينار) ثم صولح بعد ذلك على (١٦٠٠٠٠٠٠ درهم) وأشهد عليهم جميعاً ببيع كل ضيعة لهم وفي أواخر (سنة ٢٣٩) مات محمد بن أحمد بن أبي دؤاد ببغداد وبعد وفاته بعشرين يوماً توفي أبوه أحمد وهم على تلك الحال.

العلويون:

امتاز المتوكل عن سائر أهل بيته بكراهة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل بيته وهذا ما يعرف في العقائد بالنصب وهو ضد التشيع وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم وكان فيما يقال يبغض ممن تقدمه من الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق لمحبة علي وأهل بيته وكان ينادمه ويجالسه جماعة اشتهروا بالنصب وبغض علي فكانوا يخوفونه من العلويين ويشيرون عليه بإبعادهم والإعراض عنهم والإساءة إليهم ثم حسنوا الوقيعة في أسلافهم الذين يعتقد الناس علو منزلتهم في الدين. ومن آثار تلك الكراهة أنه أمر في (سنة ٢٣٧) بهدم قبر الحسين بن علي بكربلاء وهدم ما حوله من المنازل والدور وأن يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره وأن يمنع الناس من إتيانه فذكر أن عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق فهرب الناس وامتنعوا من المصير إليه وحرث ذلك الموضع وزرع ما حواليه.

وكان إمام الإمامية في عهده أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب سعي به إلى المتوكل فأقدمه من المدينة إلى سامرا التي كانت تعرف بالعسكر فلقب

بالعسكري وقد ظل مقيماً بها نحو عشرين سنة ومات بها ولما جاء سامرا لم تنقطع السعايات عنه فقيل له إن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته فوجه إليه ليلاً من هجم عليه منزله وهو غافل فوجد في بيت وحده عليه مدرعة من شعر ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى وعلى رأسه ملفة من صوف وهو يقرأ ويدعو فحمل إلى المتوكل في جوف الليل فمثل بين يديه والمتوكل يشرب فأجلسه إلى جنبه وعرض عليه الكاس فاستعفى فأعفاه ثم قال له أنشدني شعراً فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم ... فأودعوا حفراً يا بئسما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
وطالما عمروا دوراً لتحصنهم ... ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادخروا ... فخلفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطلة ... وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

فبكى المتوكل حتى بلت دموعه لحيته ثم أمر برفع الشراب وأمر له بأربعة آلاف دينار يقضي بها دينه ورده إلى منزله مكرماً.

وفي عهد المتوكل أتي بيحيى بن عمر بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين من بعض النواحي وكان قد جمع جمعاً فضربه عمر بن فرج ثماني عشرة مقرعة وحبس ببغداد في المطبق.

الجيش:

كان الجيش على العهد الذي كان عليه في مدة الواثق والمعتصم وكلما قدم العهد زاد الأتراك نفوذاً وقوة وقد أحس المتوكل بتوغل الأتراك في الدولة واستبدادهم بأمور الخلافة وإدارتها وجيشها فأحب أن يضعف شوكتهم ويقلل من نفوذهم فبدأ بإيتاخ الذي كان على الجيش والمغاربة والأتراك والموالي والبريد والحجابة ودار الخلافة وأراد المتوكل الإيقاع به ليتخلص من هذا السلطان الواسع فرأى أن ذلك لا يمكنه معه وهو بسامرا بين قومه وجنده فدس إليه من أشار عليه بالاستئذان في الحج ففعل فأذن له المتوكل وصيره أمير كل بلد يدخله وخلع عليه وركب معه جميع القواد وخرج معه من الشاكرية والقواد والغلمان سوى غلمانه وحشمه بشر كثير فلما حج وانصرف إلى العراق وجه إليه المتوكل بكسوة وألطاف وأمر الرسول أن يلقاه بالكوفة أو ببعض الطريق وتقدم إلى عامله على شرطة بغداد وهو إسحاق بن إبراهيم المصعبي بأمره فيه. فلما وصل

بغداد قال له إسحاق بن إبراهيم: إن أمير المؤمنين أراد أن تدخل بغداد وأن يلقاك بنو هاشم ووجوه الناس وأن تقعد لهم في دار خزيمة بن خازم فتأمر لهم بجوائز: فلما صار إيتاخ بالقرب من دار خزيمة حجز عنه غلمانه ودخل الدار وحده فكان فيها سجنه ثم نقل إلى منزل إسحاق فأدخل ناحية منه وقيد وأثقل بالحديد في عنقه ورجليه ثم قدم بابنيه منصور ومظفر وبكاتبيه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد فحبسوا وكانت الشدة التي عومل بها إيتاخ سبباً لوفاته فمات (سنة ٢٣٥) وأما ابناه فبقيا في الحبس حياة المتوكل ثم أطلقهما المستعين بعده.

ولكراهة المتو ل لهؤلاء الغلمان ورؤسائهم كره من أجلهم المدينة التي أنشئت لهم فعزم أن يغير حاضرة خلافته فاختار (سنة ٢٤٣) أن يجعل دمشق حاضرته فشخص إليها ونقل دواوين الملك وأمر بالبناء بها فتحرك الأتراك في أرزاقهم وأرزاق عيالهم مريدين التشغيب عليه لأنهم ظنوا أن المتو ل يريد أن يستعين بسلطان العرب عليهم حيث اختار بلاد الشام فأمر المتوكل لهم بما أرضاهم وبعد أن أقام بدمشق أياماً ظهر أنه استوبأ البلد لأن الهواء بارد ندي والماء ثقيل والريح فيها تهب مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضي عامة الليل وغلت فيها الأسعار وحال الثلج بين السابلة والميرة فبارحها عائداً إلى سامرا ويظهر أن الأتراك هم الذين حملوه على العودة. وفي (سنة ٢٤٥) أمر ببناء الماحوزة [١] وسماها الجعفري [٢] وأقطع القواد وأصابه وجد في بنائها وأمر بنقض القصر المختار والبديع من قصور سامرا وحمل ساجهما إلى الجعفري[٢] وأنفق عليها فيما قيل أكثر من ألفي ألف دينار و ان يسميها هو وأصحابه المتوكلية و انت بالقرب من سامرا وبنى فيها قصراً سماه لؤلؤة لم ير مثله في علوه وأمر بحفر نهر يأخذ رأسه من موضع يقال له كرمى على رأس خمسة فراسخ فوق الماحوزة جعله شرباً لما حوله من فوه النهر إليها وقدر للنهر من النفقة (٢٠٠٠٠٠ دينار) لكنه مات قبل أن يتم فأهمل وهذه المدينة خربت بعد قتل المتو ل. ولما انتقل إلى مدينته الجديدة شاع أنه عزم على الفتك بوصيف وبغا وغيرهما من قواد الأتراك ووجوههم ولكن لم يتأت له ذلك لأنهم تغدوا به قبل أن يتعشى بهم كما نبينه في خبر مقتله. وقد حصلت حوادث في أطراف الدولة في عهد المتو ل فأطفئت، منها:

أولاً ـ حادثة محمد بن البعيث بن حليس من ولد عتيب بن عمرو بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جديلة في مدينة مرند وهي من مشاهير مدن أذربيجان استدارتها فرسخان وبينها وبين تبرين يومان كانت في الأصل قرية صغيرة فنزلها حليس أبو البعيث ثم حصنها البعيث ثم محمد ابنه وبنى بها محمد قصراً. وكان محمد بن البعيث محبوساً في حبس إسحاق بن إبراهيم فتكلم فيه بغا

(١) في الكامل لابن الأثير ٥/ ٢٩٨ : الماخورة.
(٢) في الكامل لابن الأثير ٥/ ٢٩٨ : الجعفرية.

الشرابي وأخذ منه الكفلاء وأطلق فهرب إلى مرند وهي موضعه من أذربيجان فرمّ ما كان وهي من سورها وأتاه من أراد الفتنة من كل ناحية من ربيعة وغيرهم فصار في نحو من (٢٢٠٠ رجل) وكان الوالي بأذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمة فقصر في طلبه فولى المتوكل حمدويه بن علي بن الفضل السعدي أذربيجان ووجه من سامرا على البريد فلما صار إليها جمع الجند والشاكرية ومن استجاب له فصار في عشرة آلاف فزحف إلى ابن البعيث فألجاه إلى مدينة مرند ولما طالت مدته وجه إليه المتوكل زيرك التركي في عدد كبير من الأتراك فلم يغن شيئاً فوجه إليه عمرو بن سيسل بن كال فكذلك فاختار له بغا الشرابي في (٤٠٠٠ رجل) ما بين تركي وشاكرى ومغربي وكان القواد الذين سبقوه قد زحفوا إلى مدينة مرند، وقطعوا ما حولها من الشجر شجر الغياض، ونصبوا عليها عشرين منجنيقاً، وبنوا بحذاء المدينة ما يستكنون فيه ونصب عليهم ابن البعيث من المجانيق مثل ذلك وما زالوا على ذلك حتى قرب منهم بغا الشرابي ومعه أمانات لوجوه أصحاب ابن البعيث ولابن البعيث أن ينزلوا وينزل على حكم أمير المؤمنين وإلا قاتلهم فإن ظفر بهم لم يستبق منهم أحداً ومن نزل فله الأمان وأرسلت لهم هذه الأمانات مع عيسى بن الشيخ الشيباني وكان عامة من مع ابن البعيث من ربيعة فنزل منهم قوم كثير من القلعة بالحبال ثم فتح باب القلعة جماعة ممن خانوا ابن البعيث فدخلت جنود المتوكل المدينة وقد أراد ابن البعيث أن يهرب فأدرك وأخذت حرمه وأخذ نحو (٢٠) من رجاله فوافاهم بغا الشرابي وقد تم الأمر فكتب إلى المتوكل بالفتح.

ثم عاد إلى سامرا ومعه أسراء فأمر المتوكل بحبسهم جميعاً ثم أتي بابن البعيث فأمر بضرب عنقه فطرح على نطع وجاء السيافون فلوحوا له فقال المتوكل وأغلظ عليه ما دعاك يا محمد إلى ما صنعت قال: الشقوة وأنت الحبل الممدود بين اللّه وبين خلقه وإن لي فيك لظنين أسبقهما إلى قلبي أولاهما بك وهو العفو - ثم اندفع بلا فصل فقال:

أبى الناس إلا أنك اليوم قاتلي ... إمام الهدى والصفح بالناس أجمل
وهل أنا إلا جبلة من خطيئة ... وعفوك من نور النبوة يجبل
فإنك خير السابقين إلى العلا ... ولا شك أن خير الفعالين تفعل

فالتفت المتوكل إلى علي بن الجهم وقال إن معه لأدباً وعفا عنه وكان ابن البعيث أديباً شجاعاً يقال إن له أشعاراً نظمها بالفارسية. وكان ابن البعيث لما هرب قال:

كم قد قضيت أموراً كان أهملها ... غيري وقد أخذ الإفلاس بالكظم
لا تعذليني فيما ليس ينفعني ... إليك عني جرى المقدار بالقلم
سأتلف المال في عسر وفي يسر ... إن الجواد الذي يعطي على العدم

ولم يمكث ابن البعيث بعد ذلك كثيراً فإنه توفي بعد شهر ثم أطلق بنوه الثلاثة وهم حلبس والبعيث وجعفر وصاروا في عداد الشاكرية مع عبيد الله بن يحيى بن خاقان وأجريت عليهم الأنزال.

ثانياً ـ اضطراب أرمينية. كان لبغا الشرابي ولاية أرمينية وأذربيجان وابنه فارس خليفته فولى عليها بالنيابة عنه أبا سعيد محمد بن يوسف المروزي وفي شوال (٢٣٦) مات فجأة فولي بعده ابنه يوسف بن محمد ولي حربها وخراجها فشخص إليها فضبطها ووجه عماله في كل ناحية وبينا هو في عمله خرج عليه رجل من بطارقة أرمينية وهو كبير البطارقة واسمه بقراط بن أشوط خرج يطلب الإمارة لنفسه فأخذه يوسف بن محمد فقيده وبعث به إلى باب الخليفة فهاج ذلك من بطارقة أرمينية فأجمعوا أمرهم على الخروج على يوسف وكان يقيم بمدينة طرون فحصروه بها ولما خرج لقتالهم قاتلوه فقتلوه وقتلوا أصحابه فلما علم بذلك المتوكل بعث بغا الشرابي إلى أرمينية مطالباً بدمه فشخص إليها من ناحية الجزيرة فبدأ بأرزن وكان بها موسى بن زرارة الذي وافق البطارقة على الفتك بيوسف فحمله بغا إلى باب الخليفة ثم سار حتى أناخ بجبل الخويثية وهم جملة أهل أرمينية وقتلة يوسف بن محمد فحاربهم وظفر بهم فقتل زهاء ثلاثين ألفاً وسبى منهم خلقاً كثيراً ثم سار مخترقاً بلاد أرمينية لإرهاب عصاتها حتى بلغ دبيل فأقام بها شهراً ومنها سار إلى تفليس ففي يوم السبت (١٠ ربيع أول سنة ٢٣٧) وجه زيرك التركي فجاوز الكر وعلية تفليس في الجانب الغربي وصفدبيل في الجانب الشرقي وكان معسكر بغا في الشرق وكان غرضهم من ذلك إخضاع إسحاق بن إسماعيل مولى بني أمية الثائر بها فناوشوه القتال فخرج لقتالهم فبعث بغا بالنفاطين فضربوا المدينة بالنار فأقبل ابن إسماعيل إلى المدينة لينظر فإذا النار قد أخذت في قصره ثم أتاه الأتراك والمغاربة فأخذوه أسيراً وأخذوا ابنه عمراً فأتوا بهما بغا فأمر بضرب عنقه ويقال إنه احترق في المدينة (٥٠٠٠٠ إنسان) وأسر من بقي حياً فيها وكان إسحاق قد حصنها وحفر خندقها وجعل فيها مقاتلة من الخويثية وغيرهم وأعطاهم بغا الأمان على أن يضعوا أسلحتهم ويذهبوا حيث شاؤوا وكان إسحاق مصاهراً لملك السرير تزوج بنته. ولم يزل بغا يجوس خلال هذه الديار حتى استنزل أكثر العصاة من معاقلهم وأخذ معه كثيراً من بطارقة أذربيجان وأران.

الدولة اليعفرية:

في آخر عهد المتوكل ابتدأت الدولة اليعفرية بصنعاء وكان جدهم عبد الرحيم بن إبراهيم الحوالي نائباً عن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي الذي كان والياً للمعتصم على نجد اليمن وصنعاء وما إليها ولما توفي عبد الرحيم قام في الولاية مقامه ابنه يعفر بن عبد الرحيم وهو رأس الدولة ومبدأ استقلالها إلا أنه كان يهاب آل زياد ويدفع لهم خراجاً يحمل إلى زبيد كأنه عامل لهم

ونائب عنهم وكان ابتداء استقلال يعفر بن عبد الرحيم (سنة ٢٤٧) واستمر ملك صنعاء في أعقابه إلى (سنة ٣٨٧) وهذه أسماء ملوكهم:

١ ـ يعفر بن عبد الرحيم	٢٤٧ ـ ٢٥٩
٢ ـ محمد بن يعفر	٢٥٩ ـ ٢٧٩
٣ ـ عبد القادر أحمد بن يعفر	٢٧٩ ـ ٢٧٩
٤ ـ إبراهيم بن محمد	٢٧٩ ـ ٢٨٥
٥ ـ أسعد بن إبراهيم	٢٨٥ ـ ٢٨٨
فترة لأئمة صنعاء والقرامطة	٢٨٨ ـ ٣٠٣
٦ ـ أسعد بن إبراهيم مرة ثانية	٣٠٣ ـ ٣٣٢
٧ ـ محمد بن إبراهيم	٣٣٢ ـ ٣٥٢
٨ ـ عبد الله بن قحطان	٣٥٢ ـ ٣٨٧

وقد اتبعنا في ثبت هذه الدولة ما جاء في تاريخ الأمم الإسلامية لمؤلف «لين بول» وفيه بعض مخالفة لما في تاريخ الدول الإسلامية للشيخ دحلان اهـ والحوالي نسبة إلى عبد الله بن حوالة الأزدي صاحب رسول الله ﷺ.

العلاقات الخارجية:

كانت الحروب بين المسلمين وبين الروم لا تزال دائمة الاتصال براً وبحراً لا تنقطع إلا لهدنة وقتية.

ففي (سنة ٢٣٨) أغار الروم على مصر من جهة دمياط وكان أمير مصر قد أمر حاميتها أن يحضروا إليه بالفسطاط ليتجمل بهم فلما جاءها الروم بمراكبهم لم يجدوا بها حامية وكانوا في نحو (٣٠٠ مركب) فدخلوا البلد وعاثوا فيه وأحرقوا دوره والمسجد الجامع وسبوا كثيراً من نساء المسلمين وأهل الذمة وأخذوا ما وصلت إليه أيديهم من المغانم ثم عادوا إلى بلادهم لم يكلم أحد منهم كلماً. وكان المسلمون يفعلون مثل ذلك في صوائفهم من جهة الدروب التي تلاصق المملكة الإسلامية من الجهة الشمالية وفي بحر الروم.

وفي (سنة ٢٤١) كان الفداء الرابع بين المسلمين والروم على نهر اللامس في (١٢ شوال) وكان القائم به شنيف خادم المتوكل وحضر معه جعفر بن عبد الواحد الهاشمي القاضي وعلي بن يحيى الأرمني أمير الثغور الشامية وكانت عدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام (٢١٠٠ رجل وامرأة) على رواية المقريزي في الخطط وروى الطبري أن عدة أسرى المسلمين كانت (٧٨٥ إنساناً) ومن النساء (١٢٥ امرأة) قال المقريزي: وكان مع الروم من النصارى

المأسورين من أرض الإسلام مائة رجل ونيف فعوضوا مكانهم عدة أعلاج.

وفي (سنة ٢٤٢) خرجت الروم من ناحية شمشاط بعد خروج علي بن يحيى الأرمني من الصائفة حتى قاربوا آمد ثم خرجوا من الثغور الجزرية فانتهبوا عدة قرى وأسروا عدداً عظيماً من الأهلين ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم فخرج في أثرهم قرباس وعمر بن عبد اللّه الأقطع وقوم من المتطوعة فلم يلحقوا منهم أحداً فكتب إلى علي بن يحيى أن يسير إلى بلادهم شاتياً.

وفي (سنة ٢٤٤) وجه المتوكل بغا من دمشق لغزو الروم في شهر ربيع الآخر فغزوا الصائفة فافتتح صملة.

وفي (سنة ٢٤٥) أغارت الروم على سميساط فقتلوا وسبوا نحواً من (٥٠٠) وغزا علي بن يحيى الأرمني الصائفة.

وفي (سنة ٢٤٦) كان الفداء السادس بين المسلمين والروم في صفر على يد علي ابن يحيى الأرمني ففودي بألفين وثلثمائة وسبعة وستين نفساً.

صفات المتوكل وأخلاقه:

لم يكن المتوكل كمن قبله في حب النظر والجدل بل كان ميالاً إلى التقليد فأمر لأول ولايته بترك النظر والمباحثة والجدل والترك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر الشيوخ والمحدثين بالتحديث وإظهار السنة.

ولم يكن المتوكل ممن يوصف في عطائه بالبذل والجود ولا بتركه وإمساكه بخلاً ولم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بني العباس ظهر في مجلسه اللعب والمضاحك والهزل فلما جاء المتوكل أحدث ذلك كله فاتبعه فيها أكثر خواصه ورعيته فلم يكن في وزرائه والمتقدمين من كتابه من يوصف بجود ولا أفضال ولا يتعالى عن مجون أو طرب دخل عليه أبو عبادة البحتري الشاعر المشهور فأنشده قصيدة يمدحه بها قال فيها:

عن أي ثغر تبتسم ... وبأي طرف تحتكم
حسن يضيء بحسنه ... والحسن أشبه بالكرم
قل للخليفة جعفر ال ... متوكل بن المعتصم
المرتضي ابن المجتبي ... والمنعم ابن المنتقم
أما الرعية فهي من ... أمان عدلك في حرم
يا باني المجد الذي ... قد كان قوض فانهدم
أسلم لدين محمد ... فإذا سلمت فقد سلم

نلنـــا الهـــدى بعـــد العمـــى بـــك والغنـــى بعـــد العـــدم

فلما انتهى مشى القهقرى للانصراف. فوثب أبو العنبس فقال: يا أمير المؤمنين نأمر برده فقد واللّه عارضته في قصيدته هذه فأمر برده فأخذ ينشد أبياتا هزلية غثة لم أستحسن إيرادها فضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه وفحص برجله اليسرى وقال يدفع إلى أبي العنبس عشرة آلاف درهم فقال الفتح بن خاقان يا سيدي البحتري الذي هجا وأسمع المكروه ينصرف خائباً فقال ويدفع إلى البحتري عشرة آلاف درهم فوصل الجاد في كرامة الهازل.

وكان ينفر من استعمال أهل الذمة في الدواوين ويكره أن يظهروا في الطريق بمظهر المسلمين ولذلك أصدر أمره في (سنة ٢٣٥) أن يلبسوا زياً خاصاً بهم وهو الطيالسة العسلية والزنانير وأن تكون لهم سروج خاصة بهم لركوبهم ونهى أن يستعان بهم في الدواوين وأعمال السلطان التي يجري فيها أحكامهم على المسلمين ونهى أن يتعلم أولادهم في كتاتيب المسلمين ولا يعلمهم مسلم وكتب منشوراً إلى عماله في الآفاق بذلك كتبه إبراهيم بن العباس الصولي في شوال (سنة ٢٣٥).

قال المسعودي: وكانت أيام المتوكل في حسنها ونضارتها ورفاهية العيش بها وحمد الخاص والعام لها ورضاهم عنها أيام سراء لا ضراء كما قال بعضهم كانت خلافة المتوكل أحسن من أمن السبيل ورخص السعر وأماني الحب وأيام الشباب.

وتتعادل عند المحدثين سيئاته وحسناته، فإبطاله المناقشة في القرآن وحدوثه ترفعه إلى أعلى الدرجات وهدمه قبر الحسين يحطه إلى أسفل الدركات فكأنه عندهم لا عليه ولا له. أما الحكم على زمنه بما كان من مصادرة الكتاب وعقوباتهم الشديدة فلم يكن محل عناية من أحد.

ولاية العهد:

تشبه المتوكل في كثير من أعماله بجده الرشيد ومن ذلك توليته العهد، فقد عقد الولاية لأولاده الثلاثة وهم محمد المنتصر ومحمد المعتز وإبراهيم المؤيد وذلك في (٢٧ ذي الحجة سنة ٢٣٥) وقسم البلاد بينهم.

فجعل لأكبرهم المنتصر إفريقية والمغرب كله من عريش مصر إلى حيث بلغ سلطانه من المغرب وجند قنسرين والعواصم والثغور الشامية والجزرية وديار مصر وديار ربيعة والموصل وهيت وعانات والخابور وقرقيسيا وكور باجرمى وتكريت وطساسيج السواد وكور دجلة والحرمين واليمن وعك وحضرموت واليمامة والبحرين والسند ومكران وقنداييل وفرج بيت الذهب وكور الأهواز والمستغلات السامرا وماه الكوفة وماه البصرة وماه سبذان ومهرجان قذق وشهرزور

وواراباذ ويصامغان وأصبهان وقم وقاشان وقزوين وأمور الجبل والضياع المنسوبة إلى الجبال وصدقات العرب بالبصرة.

وجعل لابنه المعتز كور خراسان وما يضاف إليه وطبرستان والري وأرمينية وأذربيجان وكور فارس وضم إليه في (سنة ٢٤٠) خزن بيوت الأموال في جميع الآفاق ودور الضرب، وأمر بضرب اسمه على الدراهم.

وجعل لابنه المؤيد جند دمشق وجند حمص وجند الأردن وجند فلسطين.

وكتب بينهم كتاباً يشبه الكتاب الذي كتبه الرشيد بين الأمين والمأمون والقاسم. وقد جعل المتوكل لابنيه المعتز والمؤيد تمام الاستقلال في أعمالهما إذا آلت الخلافة للمنتصر بحيث لا يجوز أن يشرك في شيء من أعمال أحدهما أحداً ولا يوجه عليه أميناً ولا كاتباً ولا بريداً ولا يضرب على يده في قليل ولا كثير وكذلك جعل على المعتز للمؤيد إذا آلت الخلافة للمعتز. وكتب من هذا الكتاب أربع نسخ نسخة بخزانة أمير المؤمنين وعند كل من أولياء العهد نسخة وهذا نموذج مما قيل من الشعر في هذه البيعة وهو ينم على نفاق قائله لأن القوم لم ينسوا بعد ما كان بين أولاد الرشيد. قال إبراهيم بن العباس الصولي:

أضحت عرى الإسلام وهي منوطة ... بالنصر والإعزاز والتأييد
بخليفة من هاشم وثلاثة ... كنفوا الخلافة من ولاة عهود
قمر توالت حوله أقماره ... يكنفن مطلع سعده بسعود
كنفتهم الآباء واكتنفت بهم ... فعوا بأكرم أنفس وجدود

مقتل المتوكل:

لم تكن قلوب كبار الأتراك مطمئنة إلى المتوكل، فقد وقع في أنفسهم أنه يريد تدبير المكايد لهم حتى يتخلص منهم واحداً بعد واحد، فأخذتهم من ذلك وحشة وكان وزير المتوكل عبيد الله بن خاقان ونديمه الفتح بن خاقان منحرفين عن المنتصر ولي العهد مائلين إلى المعتز. فأوغرا قلب أبيه عليه حتى هم أن يعزله من ولاية العهد فاجتمع لذلك الخصمان قواد الأتراك وولي العهد. مال الأتراك إلى المنتصر ليستعينوا به في تنفيذ غرضهم ومال إليهم ليحفظ لنفسه الخلافة عاجلاً أو آجلاً. ومما زاد في إغراء المنتصر أن المتوكل اشتكى فأمره أن يصلي بالناس يوم الجمعة فقال عبيد الله والفتح للمتوكل مر أبا عبد الله المعتز بالله بالصلاة لتشرفه بذلك في هذا اليوم الشريف فقد اجتمع أهل بيته والناس جميعاً فقد بلغ الله به فأمره المتوكل بالصلاة فركب وصلى بالناس وأقام المنتصر في منزله وفي الجمعة الثانية أراد المتوكل أن يصلي المنتصر بالناس فحسنا

له أن يركب هو لئلا يرجف الناس بعلته ففعل. وكل ذلك زاد المنتصر حقداً وخوفاً على الخلافة أن تفوته. ويقال إن المتوكل اتفق مع الفتح بن خاقان على الفتك بالمنتصر وقتل وصيف وبغا وغيرهما من قواد الأتراك ولم يكن هذا السر ليستتر مع النبيذ والاستهتار بشربه فاتفق القوم على أن يفتكوا بالمتوكل.

وقد تولى كبر ذلك بغا الصغير المعروف بالشرابي فإنه أعد لذلك قوماً في مقدمتهم باغر التركي الذي كان يقوم بحراسة المتوكل وأعد معه عشرة من الأجناد فدخلوا القصر وسيوفهم مسلولة والمتوكل قد أخذ منه الشراب فابتدره أحدهم بضربة وثنى عليه بأخرى أتت على نفسه، وكان معه الفتح بن خاقان فقتل معه، وكان قتله ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال (سنة ٢٤٨) ويعجبني ما قاله بعض شعراء الوقت في تلك الحادثة:

لا حـــزن إلا أراه دون مـــا أجـــد ... وهـــل كمـــن فقـــدت عينـــاي مفتقـــد
لا يبعـــدن هـــالـــك كـــانـــت منيتـــه ... كمـا هـوى عـن غطـاء الـزبيـة الأسـد
لا يـدفـع النـاس ضيمـاً بعـد ليلتهـم ... إذ لا تمـد إلـى الجـانـي عليـك يـد
لـو أن سيفـي وعقلـي حـاضـران لـه ... أبليتـه الجهـد إذ لـم يلـه أحـد
هـلا أتـاه أعـاديـه مجـاهـرة ... والحـرب تسعـر والأبطـال تطـرد
فخـر فـوق سـريـر الملـك منجـدلاً ... لـم يحمـه ملكـه لمـا انقضـى الأمـد
وأصبـح النـاس فـوضـى يعجبـون لـه ... ليثـاً صـريعـاً تنـزى حـولـه النقـد
علتـك أسيـاف مـن لا دونـه أحـد ... وليـس فـوقـك إلا الـواحـد الصمـد
أضحـى شهيـد بنـي العبـاس مـوعظـة ... لكـل ذي عـزة فـي رأسـه صيـد
خليفـة لـم ينـل مـا نـالـه أحـد ... ولـم يضـع مثلـه روح ولا جسـد
كـم فـي أديمـك مـن فـوهـاء هـادرة ... مـن الجـوائـف يغلـي فـوقهـا الـزبـد
إذا بكيـت فـإن الـدمـع منهمـل ... وإن ونيـت فـإن القـول مطـرد
قد كنت أسرف في مالي وتخلف لي ... فعلمتنـي الليـالـي كيـف أقتصـد
لمـا اعتقـدتـم أنـاس لا حلـوم لهـم ... ضعتـم وضيعتـم مـن كـان يعتقـد
فلـو جعلتـم علـى الأحـرار نعمتكـم ... حمتكـم السـادة المـذكـورة الحشـد
قـوم هـم الجـذع والأنسـاب تجمعهـم ... والمجـد والـديـن والأرحـام والبلـد

وقال علي بن الجهم من قصيدة له:

عبيـد أميـر المـؤمنيـن قتلنـه ... وأعظـم آفـات الملـوك عبيـدهـا
بنـي هـاشـم صبـراً فكـل مصيبـة ... سيبلـى علـى وجـه الـزمـان جـديـدهـا

obeikandi.com

وهذه الحادثة أول ثمرة لغرس المعتصم فإنه ملك الخلافة قوماً لا حلوم لهم وليس لهم من الأخلاق ما يمنعهم مما فعلوا ولا من العصبية ما يجعل جانبهم مأموناً وأجل من ذلك أن يكون ولي العهد شريكاً في دم أبيه وهذا أيضاً أول حادث من نوعه ويعجبني ما قاله البحتري:

أكان ولي العهد أضمر غدره ... فمن عجب أن ولي العهد غادره
فلا ملك الباقي تراث الذي مضى ... ولا حملت ذاك الدعاء منابره

١١ ـ المنتصر

هو محمد المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وأمه أم ولد رومية اسمها حبشية ولد (سنة ٢٢٢) وعقد له أبوه ولاية العهد (سنة ٢٣٥) وسنه ثلاث عشرة سنة. ولما قتل أبوه بايعه قواد الأتراك عقيب مقتله في (٤ شوال سنة ٢٤٧) (١١ ديسمبر سنة ٨٦١) واستمر خليفة إلى أن توفي يوم الأحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر (سنة ٢٤٨) (٧ يونية سنة ٨٦٢) فكانت مدته التي تعجلها بقتل أبيه ستة أشهر.

استوزر المنتصر أحمد بن الخصيب وكان كاتبه قبل أن يستخلف وكان مقصراً في صناعته مطعوناً عليه في عقله وكانت فيه مروءة وحدة وطيش فمن احتمله بلغ منه ما أراد وقد وصفه المسعودي بأنه كان قليل الخير كثير الشر وقد ندم المنتصر على ما فعل من تقليده الوزارة ونفيه عبيد الله بن خاقان وزير أبيه بسبب ما شاع من حدة ابن الخصيب وطيشه وذلك أنه ركب ذات يوم فتظلم إليه متظلم بقصة فأخرج رجله من الركاب فزج بها في صدر المتظلم فقتله فتحدث الناس بذلك، فقال بعض شعراء ذلك الزمان:

قل للخليفة يا ابن عم محمد ... أشكل وزيرك إنه شكال
أشكله عن ركل الرجال وإن ترد ... مالاً فعند وزيرك الأموال

الجيش:

بقتل المتوكل واستيلاء المنتصر الشاب زادت الأتراك قوة في الدولة على قوتهم لأن أيديهم امتدت إلى حياة الخلفاء فقتلوا الخليفة وساقوا الخلافة إلى خليفة فأنشبوا أظفارهم بذلك في جسم الدولة ولم يكن هناك من حيلة للتخلص منهم لما دب إلى قلوب الخلفاء من الهيبة ورعاية جانبهم ومما يدل على ذلك أن الأتراك لم يكونوا يحبون أن تكون ولاية العهد للمعتز والمؤيد ابني المتوكل فأشاروا على المنتصر بخلعهما فأحضرا دار الخلافة وطلب منهما أن يكتبا طالبين أن يخلعا من ولاية العهد لضعفهما عن ذلك فرضي المؤيد وأبى المعتز فقال له المؤيد يا جاهل تراهم قد نالوا من أبيك وهو هو ما نالوا ثم تمتنع عليهم، اخلع ويلك ولا تراجعهم. وما زال به حتى